كلاسيكيات مُبسطة

جين آيـر

شارلوت برونتي

رسومات
أريانا بيلوتشي



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي


كلاسيكيات مُبسطة
جين آيــر
شارلوت برونتي
رسومات
أريانا بيلوتشي
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

حقوق الطبع والنشر

المجموعة

القصصية الكاملة

للأخوات برونتي

شارلوت، إيميلي

وآن برونتي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore
...ليست مجرد مكتبة

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

للتعرف على فروعنا

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

تحديد مسئولية / إخلاء مسئولية من أي ضمان

هذه ترجمة عربية لطبعة اللغة الإنجليزية. لقد بذلنا قصارى جهدنا في ترجمة هذا الكتاب، ولكن بسبب القيود المتأصلة في طبيعة الترجمة، والناتجة عن تعقيدات اللغة، واحتمال وجود عدد من الترجمات والتفسيرات المختلفة لكلمات وعبارات معينة، فإننا نعلن وبكل وضوح أننا لا نتحمل أي مسئولية ونخلي مسئوليتنا بخاصة عن أي ضمانات ضمنية متعلقة بملاءمة الكتاب لأغراض شرائه العادية أو ملاءمته لغرض معين. كما أننا لن نتحمّل أي مسئولية عن أي خسائر في الأرباح أو أي خسائر تجارية أخرى، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر، الخسائر العرضية، أو المترتبة، أو غيرها من الخسائر.

الطبعة الأولى 2024

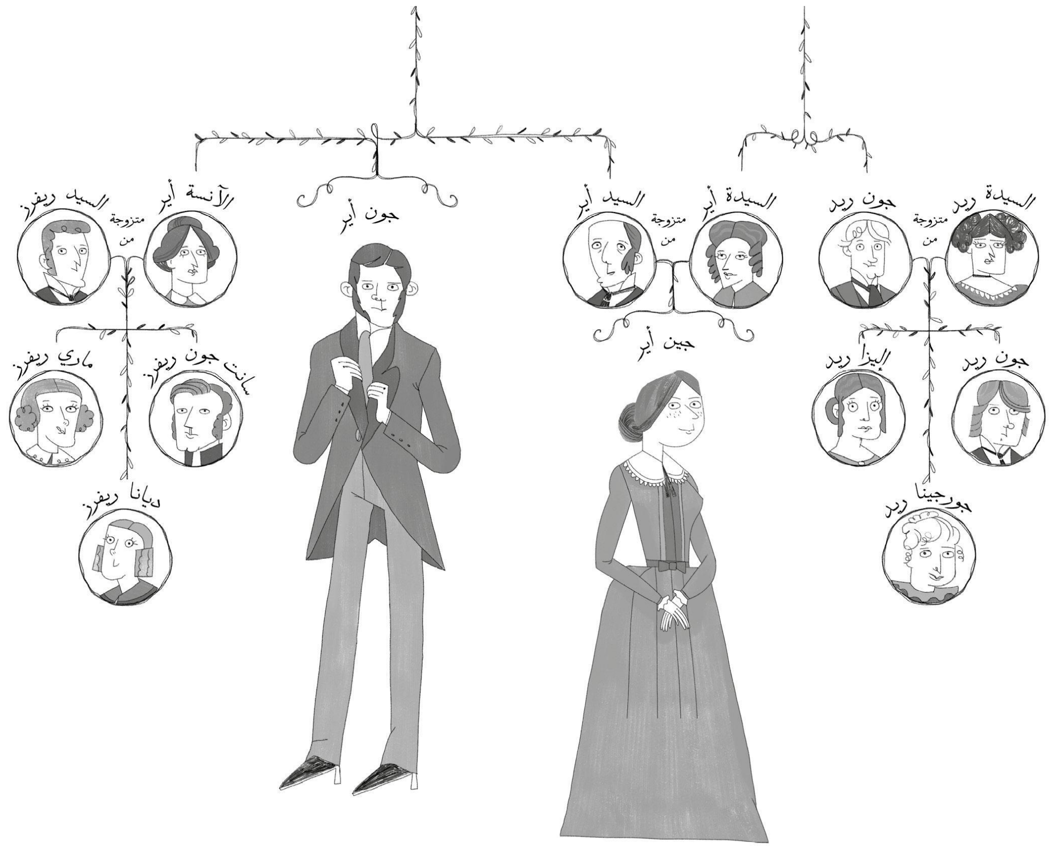
جين آيــر

شارلوت برونتي



مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الفصل الأول



قالت زوجة خالي السيدة ريد: «اذهبي واجلسي في مكان آخر حتى تتعلمي كيفية التصرف كفتاة مهذبة لطيفة».

نظرتُ إلى وجهها العابس.

بعدها سألتها: «لكن ماذا فعلت؟» لم أتذكر أنني فعلت أي شيء من شأنه أن يُثير غضبها إلى هذا الحد.

ردت قائلة: «لا تجادلي».

حدق أبناء خالي الثلاثة في وجهي، ثم اقتربوا من والدتهم والتفوا جميعًا حول نيران المدفأة، أما أنا فذهبت إلى غرفة تناول الإفطار، وجلست على حافة النافذة، وأزحت الستار واختبأت خلفه، على الأقل كنت بمفردي بهذا المكان. ملتُ برأسي على النافذة التي تناثرت عليها قطرات المطر، ونظرت إلى المروج التي كساها اللون الرمادي القاتم بالخارج. عصفت الرياح بشدة، فارتجفت من البرد.



فتحت الكتاب الذي أخذته من فوق رف الكتب، كان كتابًا عن الطيور.

وفجأة، أزاح شخص ما الستار، إنه جون ابن خالي، فجأة رأيته يقف أمامي، وقد علت وجهه ابتسامة ماكرة، وعلى الفور خطف الكتاب من يدي.

صاح قائلًا: «لا تقتربي من ممتلكاتنا، والدتي تعتني بك من قبيل الشفقة والعطف، ليس من المفترض أن يكون هذا رد الجميل، اذهبي وقفي بجانب الباب».

نفذت ما طلبه مني، كان جون صبيًا في الرابعة عشرة من عمره، ويكبرني بأربعة أعوام.

انتظرت، وبداخلي كنت متأكدة أنه يدبر لفعلة ما، بعدها ألقى الكتاب في وجهي فاصطدم برأسي.

شعرت بالظلم والمهانة، وبأن هناك بركانًا من الغضب يثور بداخلي، فصرخت قائلة: «أنت فتى شرير».

اندفع نحوي، وأمسك بشعري.

من شدة الألم ملأت الدموع عيني، فدفعته بعيدًا عني، فسقط على الأرض.

صاح: «أنت فتاة حمقاء».

فجأة، وجدتُ زوجة خالي السيدة ريد تقف أمامي.

نادت الخادمةَ قائلة: «بيسي، خذيها من هنا، واحبسيها في الغرفة الحمراء».

أمسكت بيسي وخادمة أخرى بذراعَيَّ، وسُحبت بقوة إلى الغرفة الحمراء. ورغمًا عني جلست على كرسي، بعدها قالتا إنه سيتم تقييدي بالكرسي إذا لم أكف عن المقاومة.

قالت بيسي: «عار عليك أن تضربي سيدك»، لكن نبرة صوتها كانت هادئة، فعلمت أنها ليست غاضبة مني.

صحتُ قائلة: «إنه ليس سيدي، وأنا لست خادمة».

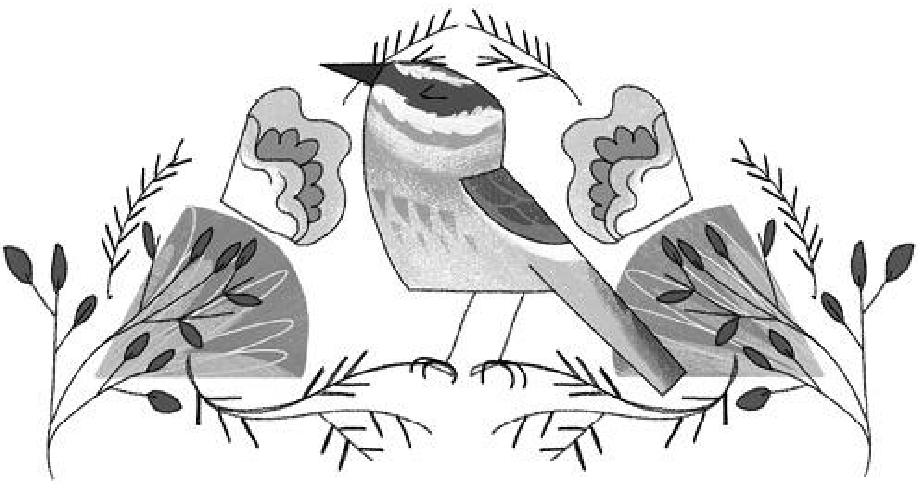


ردت الخادمة الأخرى: «صدقتِ، فالخادمة أفضل منك، أنت لا تقدمين أي شيء مقابل وجودك هنا».

كانت على حق، فزوجة خالي كانت مستاءة للغاية من فكرة الاعتناء بي، هذا هو ذنبي الوحيد، ولم يكن هناك ما أستطيع فعله حيال ذلك.

تركتني بيسي والخادمة وحدي في الغرفة المظلمة، وسمعت صوت مفتاح يتحرك في القفل.





الفصل الثاني

كانت الغرفة الحمراء أفضل غرفة نوم في المنزل بأكمله؛ إذ كان بها سرير كبير بأربعة أعمدة، وسجادة حمراء، وستائر حمراء، ومع ذلك كنت خائفة جدًّا منها.

إنها الغرفة التي توفي فيها خالي منذ تسع سنوات.

أخبرتني بيسي أنه كان حنونًا جدًّا، وقد أحضرني للعيش هنا بعد وفاة والديَّ.

لكن زوجته لم تُرحب بوجودي، وابنه جون كان متنمرًا شريرًا، وابنتاه كانتا تتصفان بالحقد والأنانية، ومع ذلك أحبهما الجميع بسبب جمالهما الأخاذ، وشعريهما الذهبي وفساتينهما الحريرية، أما أنا فكنت مجرد فتاة عادية فقيرة.

طيلة وجودي بالغرفة كنت أتساءل ما إذا كان شبح خالي يراقبني الآن. أمسكت بكرسي، وحدقت في الظلام مذعورة، لم أكن أريد أن أرى شبحًا، لا سيما شبح خالي الحنون.



فجأة لمحت شبحًا يتحرك على السقف، فصرخت وركضت نحو الباب.

طرقت الباب المغلق حتى آلمتني يدي، فصرخت: «أخرجوني من هنا». كنت خائفة وغاضبة جدًّا.



للأسف لم يأتِ أحد، فاستلقيت على الأرض وبكيت حتى غلبني النوم.

عندما استيقظت، رأيت بيسي تقف إلى جواري، وكنت في فراش دافئ ومريح. وكان بالغرفة شخص آخر، إنه السيد لويد، الصيدلي؛ لقد كان رجلًا طيبًا، يزورنا ويصف لنا الدواء اللازم عندما نمرض.

اعتنت بيسي بي خلال الأيام القليلة التالية، وكانت تعد لي الفطائر المُحلاة، لكنني لم أكن جائعة، وحتى عندما عرضت عليَّ أن تُحضر لي كتابًا، أخبرتها أنني حزينة جدًّا، ولا يمكنني القراءة.

اتصل السيد لويد ليحدد موعدًا لرؤيتي مرة أخرى، وعندما أتى حدثني قائلًا: «لماذا أنتِ حزينة هكذا؟ أنت تعيشين في هذا المنزل الجميل مع زوجة خالك وأبناء خالك».



قلت: «إنهم جميعًا يكرهونني، على الرغم من محاولاتي المتكررة لأكون فتاة مهذبة، أتمنى الهروب من هنا».

بدا عليه أنه صدقني عندما أخبرته بمدى الظلم الذي أتعرض له.

سألني: «هل ترغبين في الذهاب للمدرسة؟».

كنت أعرف أنني إذا ما ذهبت للمدرسة سأتعلم الرسم والحياكة والعزف على البيانو، كما سيُسمح لي بقراءة الكتب وتعلم اللغة الفرنسية، بدا ذلك رائعًا للغاية.

نظرت له، وابتسمت ابتسامة خفيفة وقلت: «نعم، أريد أن أذهب إلى المدرسة».

قال السيد لويد إنه سيتحدث إلى زوجة خالي بخصوص هذا الأمر، فانتظرت شهورًا ولم أسمع أي خبر، وفي الوقت نفسه، لم يكن مسموحًا لأبناء خالي بالتحدث معي، ولم أتمكن من الذهاب لأي من حفلات رأس السنة.

وفي يوم من الأيام، نادتني زوجة خالي، وعندما ذهبت إليها وجدت بصحبتها رجلًا يبدو على ملامحه الجدية، ولديه حاجبان كثيفان.

سألني: «هل أنت فتاة مهذبة يا جين أير؟».

ردت زوجة خالي بتهكم: «لا، إنها طفلة شريرة، أتمنى أن تقدر على تعديل سلوكها يا سيد بروكلهيرست».

رد قائلًا: «بالطبع أستطيع. إننا لا نسمح بارتكاب أية حماقات في مدرسة لوود».

عضضت شفتي كي أمنع نفسي من الصراخ قائلة إنني لست شريرة، فهو لن يصدقني على أية حال.

الفصل الثالث

في صباح اليوم التالي، خرجت من الباب الأمامي وبيدي حقيبتي الصغيرة. لم يكن ضوء الصباح قد ظهر بعد، فمضيت ولم أنظر خلفي للمنزل، وذلك لأنني كنت سعيدة جدًّا لمغادرته.

رأيت بصيصًا من الضوء، وأنفاس خيول مع اقتراب العربة. أخذ السائق حقيبتي ووضعها أعـــلى العربة، ثـم فتح الباب، وساعدني على الدخول، بعدها أغلقه ومضيت في طريقي، هكذا غادرت منزل زوجة خالي للأبد. لوحت بيدي، مودعة بيسي، ففراقها كان الشيء الوحيد الذي أحزنني.

استغرق الطريق يومًا كاملًا للوصول إلى مدرسة لوود، وحين وصلت كان الظلام قد حل.

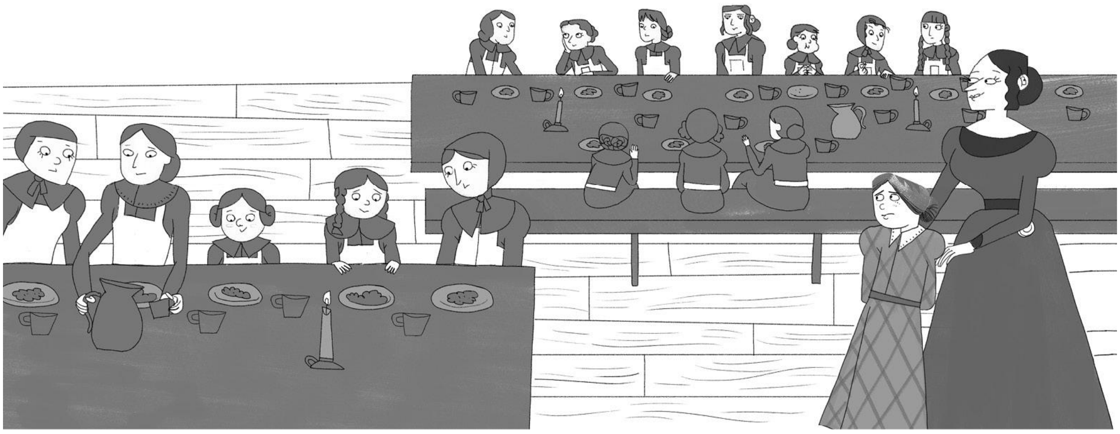
تم اصطحابي إلــى غرفة بهــا سجادة سميكة، ولوحـــات عـــلى الحائط. وكانت هناك سيدة طويلة القامة، ذات شعر أسود اللون تجلس إلى مكتبها، و كانت ملامحها جميلة للغاية، فما إن دخلتُ حتى ابتسمت لي.



وقالت: «لا بد أنك متعبة وجائعة يا جين».

أومأت برأسي مندهشة من مدى رقة وعذوبة صوتها. شعرت بأنه ربما يمكنني الوثوق بها.

رافقتني إلى غرفة كبيرة بها حوالي ثمانين فتاة، يجلسن إلى طاولتين كبيرتين، وجميعهن يرتدين فساتين صوفية بنية اللون، ومرايل بيضاء. كان هناك كوب من الماء، وقطعة من كعكة الشوفان أمام كل فتاة.



في هذه اللحظة شعرت بخوف شديد، برغم وجود هذه السيدة اللطيفة.

بعد الانتهاء من تناول العشاء صلينا، ثم اصطحبنا شخص ما إلى غرف النوم، وكان بكل غرفة العديد من الأَسِرَّة، وعلى الفور نمت في سريري.

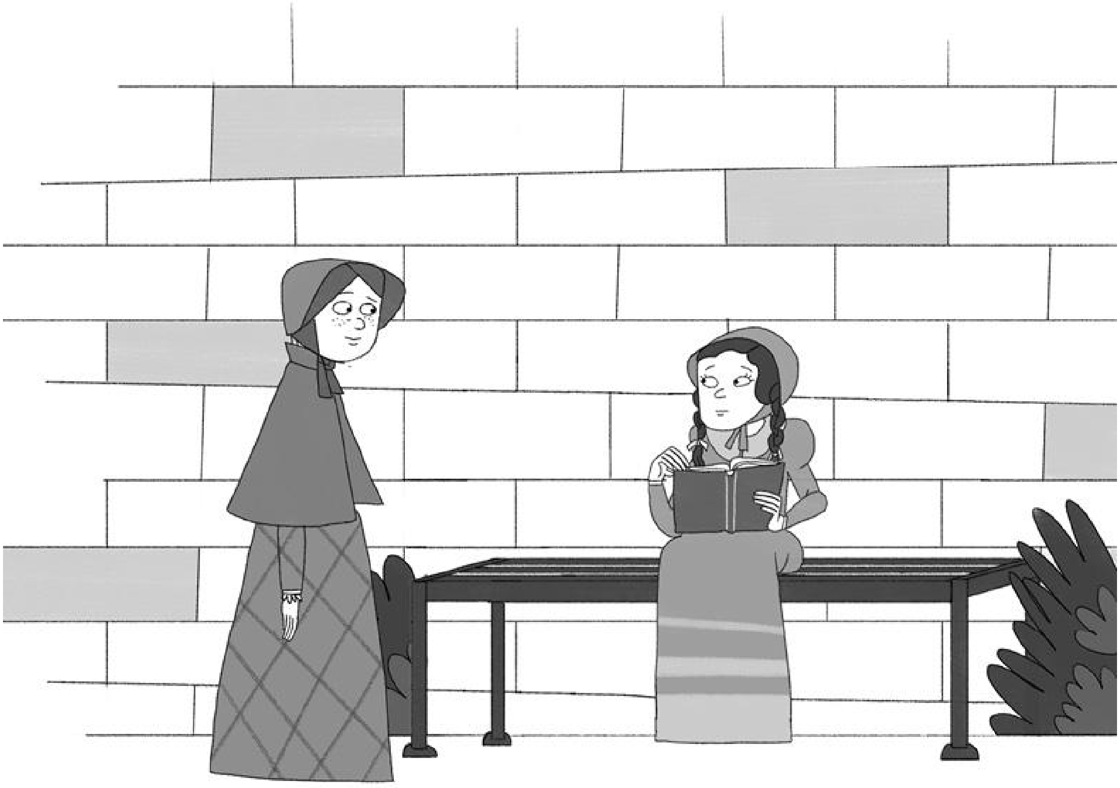
أخذت أرتجف طوال الليل تحت الأغطية الخفيفة، وفي الصباح لم نستطع الاغتسال لأن الماء في أوعيتنا كان متجمدًا. بعدما أدينا صلاتنا، ذهبنا إلى فصولنا، وفي وقت لاحق، قُدمت لي عباءة وغطاء رأس لارتدائهما فوق ملابسي، وخرجنا جميعًا إلى الحديقة. وقفت بمفردي بالقرب من سور المدرسة.

لمحت فوق الباب بعض الكلمات المحفورة على الحجر.



بعد ذلك رأيت فتاة تجلس على مقعد وتقرأ كتابًا، وبينما كانت تقلب الصفحة رفعت بصرها ورأتني أراقبها.

سألتها وأنا أُشير للكلمات المحفورة فوق الباب: «ما معنى معهد لوود؟».



قالت: «هذه مدرسة خيرية للأيتام، أسستها السيدة بروكلهيرست، والآن يديرها ابنها».

قلت: «أوه، إذن السيدة الطويلة ذات الشعر الأسود ليست هي المسئولة؟».

ضحكت الفتاة وقالت: «تقصدين الآنسة تيمبل؟ ليتها كانت المسئولة هنا. السيد بروكلهيرست هو المدير، وستقابلينه قريبًا».

شعرت بخيبة أمل، فقد التقيت به بالفعل، ولم يحبني.

الفصل الرابع

صديقتي الجديدة كانت تُدعى هيلين بيرنز، وكان من عادة هذه الفتاة أنها عندما تقع في أية ورطة دون سبب، فإنها تتلقى عقوبتها بمنتهى الهدوء. وفي قرارة نفسي كنت على يقين بأنني لن أستطيع التصرف مثلها، فمعلمتنا، الآنسة سكاتشرد، كانت قاسية جدًّا، ودائمًا ما كانت تختلق أي سبب لتوبيخ هيلين. رأيتها أكثر من مرة وهي تضربها عــلى رقبــتهــا بحــزمة من الأغصان الطويلة.

في أحد الأيام، دخل السيد بروكلهيرست الفصل، فشعرت بتوتر شديد عند رؤية هذا الرجل الضخم ذي المظهر القاسي؛ لدرجة أن لوحة الكتابة الخاصة بي سقطت مــن يدي، وتحطمت على الأرض.



صاح السيد بروكلهيرست: «يا لكِ من فتاة مهملة»، ثم أمعن النظر بوجهي وعرفني، ومن ثم أردف قائلًا: «تعالي هنا يا فتاة».

بالطبع تجمدت من الخوف، فأشار إلى أحد الكراسي، وطلب مني الوقوف فوقه.

بعدها التفت إلى جميع الفتيات في الفصل وقال لهن: «انظرن لهذه الفتاة، إنها فتاة سيئة، حادة الطباع، فلا تتحدثن معها. يجب أن تظل واقفة هكذا لمدة نصف ساعة».

احمرت وجنتاي من الغضب والخجل؛ حيث إنني طوال حياتي دائمًا ما أواجه اتهامات أنا منها بريئة تمامًا. اغرورقت عيناي بالدموع، لكنني صممت على عدم البكاء أمام الجميع، ثم مرت هيلين بالقرب مني، وحاولت أن تواسيني بابتسامة خفيفة، فكان لهذه اللفتة اللطيفة عظيم الأثر في نفسي؛ حيث بثت بروحي شجاعة كبيرة.



لاحقًا، عندما غادر الجميع، نزلت من فوق الكرسي، وفي اللحظة نفسها، دخلت هيلين ومعها طبق من الخبز والحليب.

قلت لها: «هيلين، ليس من المفترض أن تتحدثي معي؛ حيث إن الجميع يعتقد أنني فتاة شريرة».

هزت رأسها وقالت: «لا، إنهن لا يعتقدن ذلك، لا أحد يحب السيد بروكلهيرست، ومن ثم لن نصدقه».

ثم بدأت تسعل بشدة، فطوقتها بذراعي.

عندئذ، سمعنا صوت شخص يدخل من الباب ففزعنا، لكنها كانت الآنسة تيمبل. قالت: «جئت من أجلكما، تعاليا إلى غرفتي».



جلسنا على كرسيين مريحين بجوار مدفأتها.

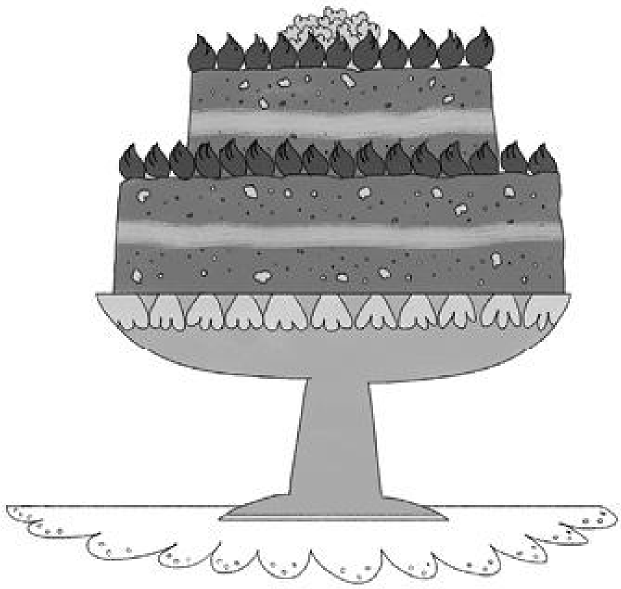
قالت: «سأحكم عليك بناءً على سلوكك هنا يا جين، وليس بناءً على ما سمعته اليوم، الآن من فضلك حدثيني عن نفسك».

أخبرتها عن زوجة خالي، وأبنائها أصحاب القلوب المتحجرة، والغرفة الحمراء، وعن شعوري بأنه ما من أحد يحبني بهذه الحياة، وعن رغبتي في التحلي بمزيد من الهدوء، مثل هيلين، بدلًا مما أتصف به من سرعة الغضب. غير أنني لم أكن

أدري كيف سأفعل ذلك بعد أن اعتقدت المدرسة بأكملها أنني شريرة. وذكرت أيضًا السيد لويد، الصيدلي، وقالت الآنسة تيمبل إنها تعرفه.

قالت: «سأبعث له برسالة، وإذا ما أكد صحة قصتك هذه، فسأخبر الجميع أنك تقولين الحقيقة».

بعد ذلك اتجهت نحو الخزانة، وأخرجت كعكة فواكه كاملة مزينة بالمكسرات. اندهشتُ كثيرًا، فما من أحد تعامل معي بهذا القدر من العطف والحـنــان سوى بيسي.



من المؤكد أن السيد لويد رد على رسالة الآنسة تيمبل، لأنها بعد مرور أسابيع قليلة، أخبرت المدرسة بأكملها أن ما قيل عني لم يكن صحيحًا، ففرح الجميع، وعلا صوت الصفيق فرحًا بهذا الخبر.

كان الجو ملبدًا بالغيوم ورطبًا طوال فصل الشتاء، وكنا نرتعد في أسرَّتنا كل ليلة. وأخيرًا، حل الربيع، فأحببت المشي في الوادي المحيط بالمدرسة، ورؤية الزعفران وأزهار الربيع وهي تتلألأ بألوانها الجميلة تحت ضوء الشمس الخافت.



لكن البقاء في الوادي لم يكن صحيًّا؛ حيث ما زالت هناك نسبة رطوبة باقية من فصل الشتاء، وقد تسللت هذه الرطوبة إلى رئاتنا، ولأننا لم نكن نتناول ما يكفي من الطعام، أصابنا الضعف، وعندها انتشر مرض يسمى حمى التيفوس، فلم تتمكن العديد من الفتيات من مقاومته، وتوفاهن الله.

كنت محظوظة لأنني لم أمرض؛ لذلك تمكنت من التجول بين التلال والأراضي المشجرة. تمنيت أن تكون هيلين برفقتي، لكنها لم تستطع؛ حيث كانت مريضة، ولكن ليس بمرض التيفوس، لقد اتضح أن السعال الذي كانت تعانيه هو مرض خطير يصيب الرئتين يسمى السل، وللأسف لم يكن له علاج.

لم يطمئنني أحد على حالتها الصحية؛ لذا تسللت ذات ليلة إلى غرفتها.

همست قائلة: «هيلين هل أنت مستيقظة؟».

فتحت عينيها وقالت: «أهذه أنت يا جين؟».

بدت شاحبة ونحيلة، وظلت تسعل.

جلست بجوارها في الفراش، وطوقتها بذراعي.

وعندما استيقظتُ في الصباح، وجدت أنها فارقت الحياة. بدا على ملامحها السلام والهدوء، لقد انتهى صراعها مع هذا المرض الشنيع، ولن تسعل بعد الآن. بكيت كثيرًا، وعلمت في قرارة نفسي أنني سأشتاق إليها، فهي كانت أول صديقة أحظى بها على الإطلاق.



أُلقي اللوم على السيد بروكلهيرست جراء الأمراض التي انتشرت في مدرستنا، والتي كان من الواضح أن سببها عدم اهتمامه بتغذيتنا، أو الاعتناء بنا بشكل كافٍ؛ ولهذا السبب، عُين أشخاص جدد في منصب إدارة المدرسة، فتحسنت الأمور كثيرًا في عهدهم.

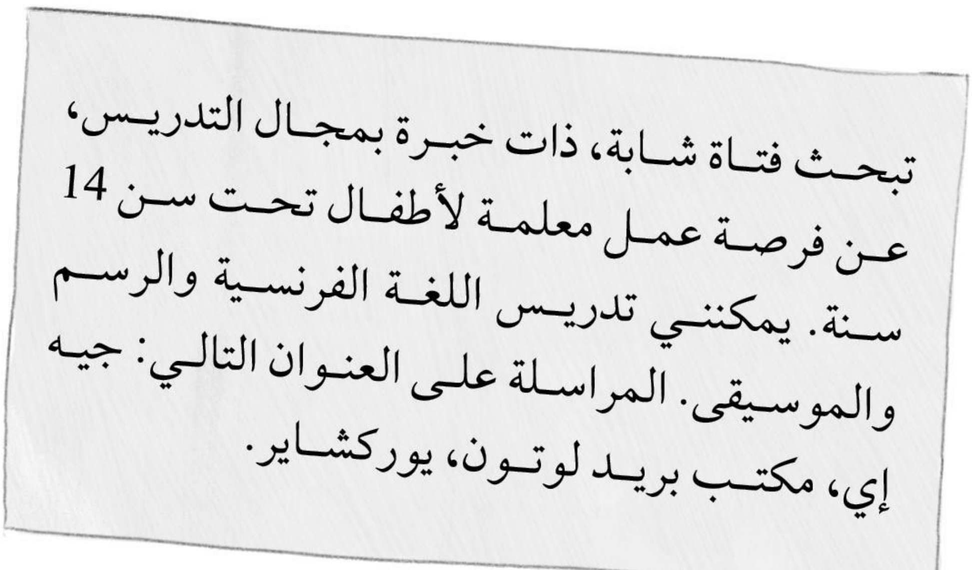
الفصل الخامس

على مدار السنوات الست التالية تعلمت الكثير من المواد الدراسية، من بينها اللغة الفرنسية والرياضيات، كما تعلمت الرسم والعزف على البيانو.

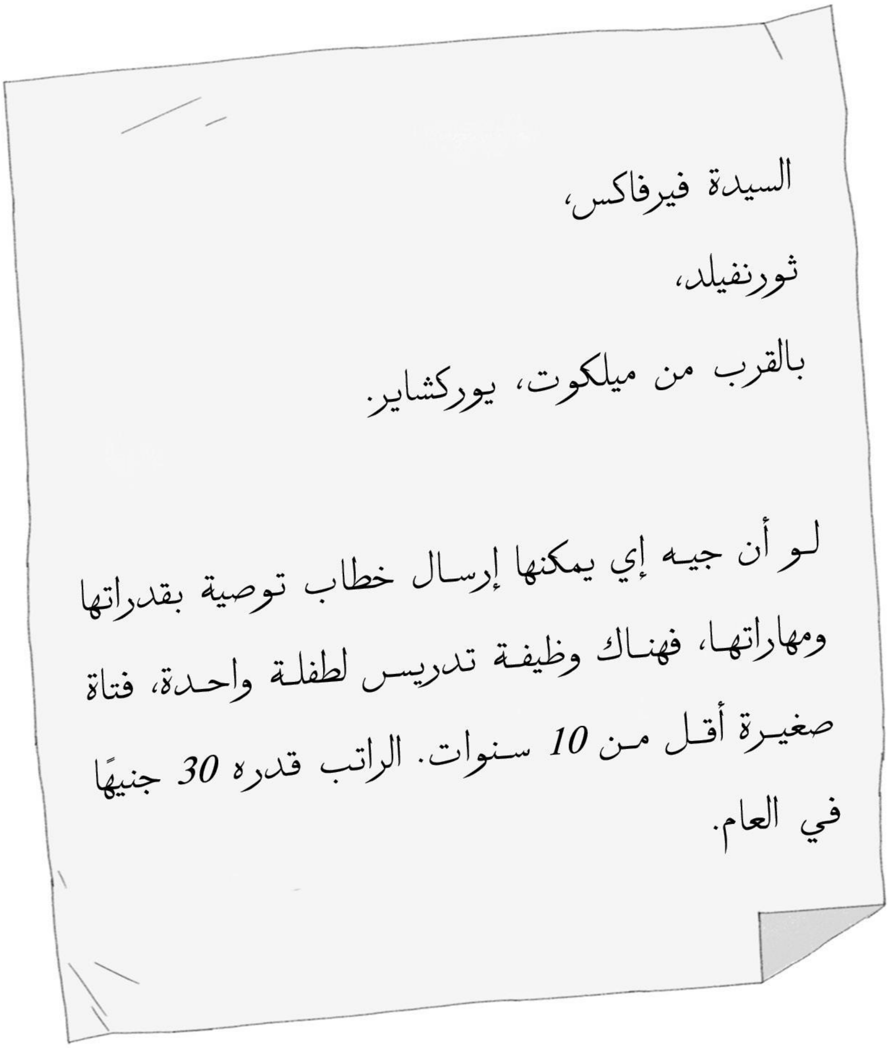
وفيما بعد قضيت بالمدرسة عامين آخرين معلمة للفتيات الصغيرات.

أصبحت أنا والآنسة تيمبل صديقتين مقربتين، ولطالما كانت حنونة معي، ما جعلني أشعر دومًا بأنني مدينة لها. عندما وقعتْ في حب شخص ما، وتركت المدرسة لتتزوج، أدركتُ أنه قد حان الوقت لأغادر أنا أيضًا. حينها كنت في الثامنة عشرة من عمري، فشعرت برغبة شديدة في اكتشاف أماكن أخرى بالعالم.

نشرت إعلانًا بالصحف.


تبحث فتاة شابة، ذات خبرة بمجال التدريس،
عن فرصة عمل معلمة لأطفال تحت سن 14
سنة. يمكنني تدريس اللغة الفرنسية والرسم
والموسيقى. المراسلة على العنوان التالي: جيه
إي، مكتب بريد لوتون، يوركشاير.

بعد مرور أسبوع، وصلتني رسالة، ففتحتها وأنا أشعر بحماس شديد.



السيدة فيرفاكس،
ثورنفيلد،
بالقرب من ميلكوت، يوركشاير.

لـو أن جيـه إي يمكنها إرسـال خطاب توصية بقدراتها ومهاراتهـا، فهنـاك وظيفـة تدريس لطفلـة واحـدة، فتاة صغيـرة أقـل مـن *10* سـنوات. الراتب قدره *30* جنيهًا في العام.

في اليوم التالي طلبت من مدير المدرسة خطاب توصية، وأرسلته إلى السيدة فيرفاكس.

> إلى من يهمه الأمر، الآنسة جين أير كانت طالبة بهذه المدرسة لمدة ست سنوات، وعملت بها معلمة على مدار عامين، ونحن نشهد لها بالكفاءة، فهي تتعامل مع طلابها بلطف وطيبة؛ إنها معلمة ممتازة.

هذا الخطاب المفعم بالإيجابية، مكنني من الفوز بالوظيفة، وبعد مرور أسبوعين كنت في طريقي إلى ثورنفيلد هال. تمنيت أن تتسم السيدة فيرفاكس بالعدل والإنصاف، وألا تكون مثل زوجة خالي السيدة ريد.

بعد سفر استمر حوالي 16 ساعة، توقفت عربتي أمام منزل حجري كبير. رأيت ضوء الشموع ينبعث من إحدى النوافذ، وباقي المنزل كان معتمًا. أخذ الحصان يضرب بحوافره بفارغ الصبر، بينما كان السائق يُحضر أمتعتي من فوق العربة.

كان قلبي يخفق بشدة وأنا واقفة على عتبة الباب. أخذت نفسًا عميقًا، ثم بعدها قمت بدق الجرس. مثلت هذه اللحظة بداية الفصل الثاني في حياتي، وبرغم ما كنت أشعر به من توتر، فإنني اعتبرت هذه الخطوة نوعًا من المغامرة.



قابلتني الخادمة عند الباب، واصطحبتني إلى غرفة يعم الدفء أركانها بسبب نيران المدفأة، وبهذه الغرفة جلست سيدة عجوز على كرسي بذراعين. كانت ترتدي ثوبًا حريريًا أسود، ومريلة بيضاء، وغطاء رأس صغيرًا. كانت منهمكة في الحياكة، وكانت هناك قطة كبيرة ترقد عند قدميها.



سألتني مبتسمة: «كيف حالك يا عزيزتي؟ من المؤكد أنك تشعرين بالبرد، اقتربي من المدفأة».

قلت: «هل أنت السيدة فيرفاكس؟».

أومأت برأسها ثم تحدثت إلى الخادمة قائلة: «ليا، من فضلك خذي حقائب الآنسة أير إلى غرفتها، وأعدي لها مشروبًا ساخنًا وطعامًا».

لقد فوجئت بمعاملتي بوصفي زائرة وليس شخصًا قادمًا للعمل.

أخبرتني السيدة فيرفاكس بأنها مدبرة المنزل، وأن صاحب المنزل يُدعى السيد إدوارد روتشستر، وأنه كثيرًا ما يغيب عن المنزل. وعلمت منها أن تلميذتي هي فتاة فرنسية صغيرة، اسمها أديل، تبلغ من العمر ثماني سنوات، وقد كفلها السيد روتشستر، لأن والدتها لم تكن قادرة على الاعتناء بها.

الفصل السادس

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي، وجدت غرفة نومي الجميلة مليئة بأشعة الشمس. نهضت وذهبت في نزهة بالخارج، وعند لحظة معينة، التفت لألقي نظرة على المنزل، فلاحظت أنه بُني من الحجر الرمادي، وأن سطحه محاط بسور يشبه أسوار القلعة.

وفجأة وجدتُ السيدة فيرفاكس تقف أمامي.



سألتني: «ما انطباعك عن ثورنفيلد؟».

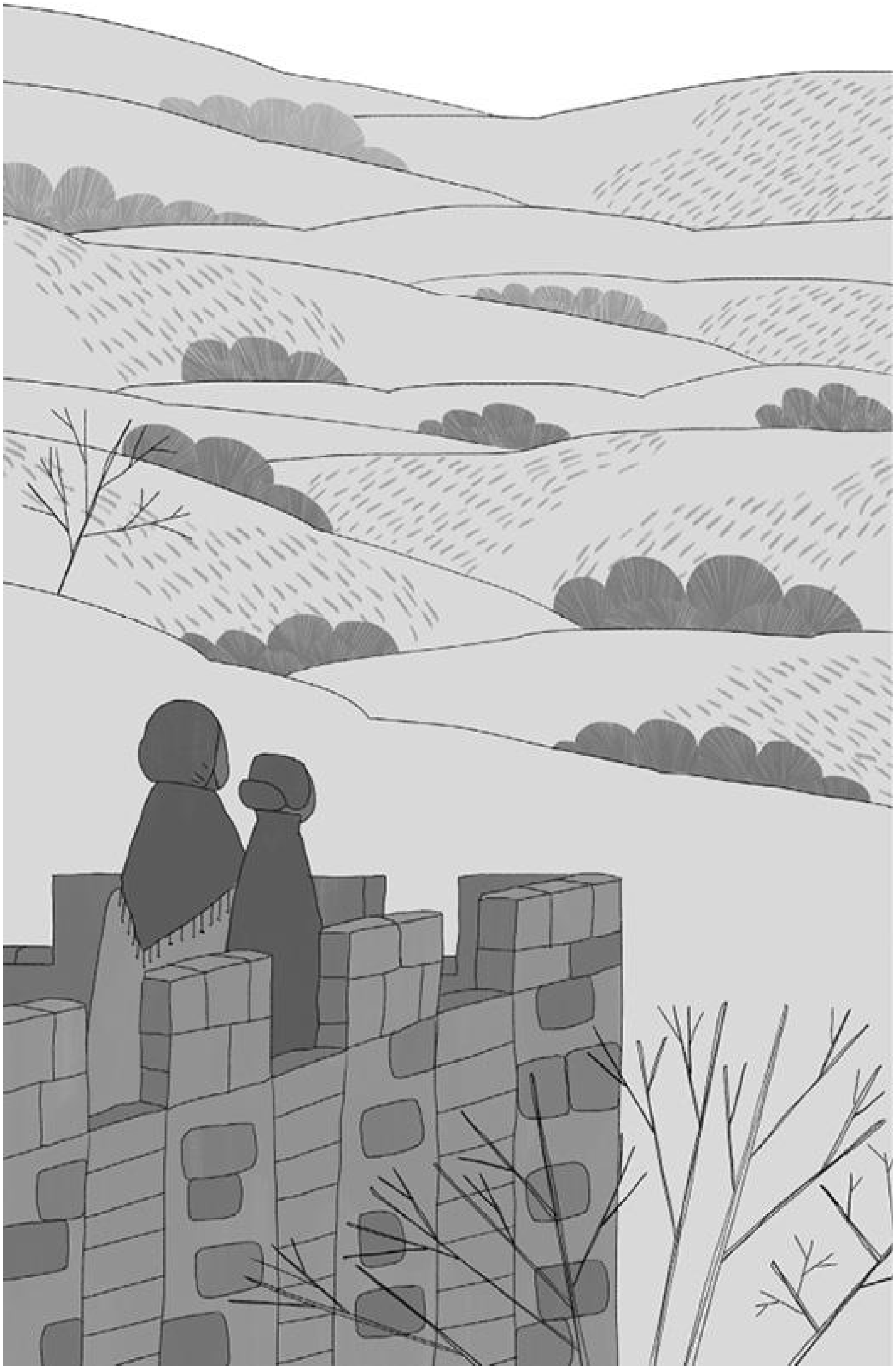
للأسف لم يتوافر لي الوقت للردعليها، إذ فجأة خرجت فتاة من المنزل، وركضت نحونا. إنها طفلة صغيرة، ذات بشرة شاحبة، وضفائر شعر طويلة منسدلة على كتفيها حتى خصرها.



قالت السيدة فيرفاكس: «صباح الخير أديل، تعالي لتلتقي معلمتك الجديدة الآنسة أير».

تحدثتُ إليهـا بالفـرنسية ففرحت للغاية، وقالت إنني أتحدث بطلاقة بالضبط مثل السيد روتشستر.

في ذلك الصباح ذاكرنا دروسنا معًا، وبعد ذلك، سألتني السيدة فيرفاكس ما إذا كنت أرغب في رؤية المنظر من فوق سطح المنزل، فصعدنا للسطح، ووقفنا عند السور، وخفق قلبي من شدة السعادة عندما رأيت المروج الممتدة على مرمى البصر.



سألتها: «ما أبرز صفات السيد روتشستر؟».

قالت: «إنه رجــل طيب، لكــن من الصعب فهمه، فليس من السهل معرفة متى يمزح، وما إذا كان سعيدًا أم غاضبًا».

استدرت لأعــود للطابــق السفلي، وبينما كنت أسير عبر الممر الضيق بالطابق العلوي سمعت ضحكة غريبة. إنه صوت غريب جعلني أرتجف.

ناديت قائلة: «سيدة فيرفاكس، هل سمعت تلك الضحكة؟ من هذا؟».

نزلت السيدة فيرفاكس وطرقت الباب وقالت: «من فضلكم لا أريد مزيدًا من الضوضاء». بعدها نظرت إليَّ وقالت: «إنها جريس بول، سيدة تساعد ليا، وتقوم ببعض أعمال الحياكة».

مرت فترة من الوقت نسيت فيها أمر جريس بول، واعتدت روتين حياتي الجديد. في الحقيقة كنت سعيدة جدًّا في ثورنفيلد؛ حيث كانت لديَّ غرفة جميلة خاصة بي، وعملي لم يكن شاقًّا على الإطلاق، فالتدريس لطالبة واحدة ليس بالأمر الصعب، ومن ثم كنت أحظى ببعض الوقت كي أذهب للمشي لمسافات وسط المروج الخضراء.

في أحد الأيام الباردة، كنت عائدة من القرية، وكانت الأرض تحت قدميَّ صلبة ومتجمدة. جلست على أحد المقاعد لأرتاح لحظة، وفجأة ظهر كلب كبير وكان فراؤه باللونين الأبيض والأسود، وأخذ يشم المكان من حولي.

ثم سمعت صوتًا أشبه بنقر حوافر حصان، ثم ظهر حصان يمتطيه فارس، وبينما كان ينطلق به انزلق الحصان بسبب كومة من الجليد فسقط الفارس على الأرض.



ركضت نحوه وقلت: «هل تأذيت يا سيدي؟ أتريد أن أذهب لجلب المساعدة؟».

كان رجلًا ذا ملامح صارمة، وحاجبين داكنين.

هز رأسه وقال: «أنت نفسك يجب أن تكوني في المنزل الآن، سيحل الظلام قريبًا، أين تعيشين؟».

أجبته: «في ثورنفيلد هال، يا سيدي».

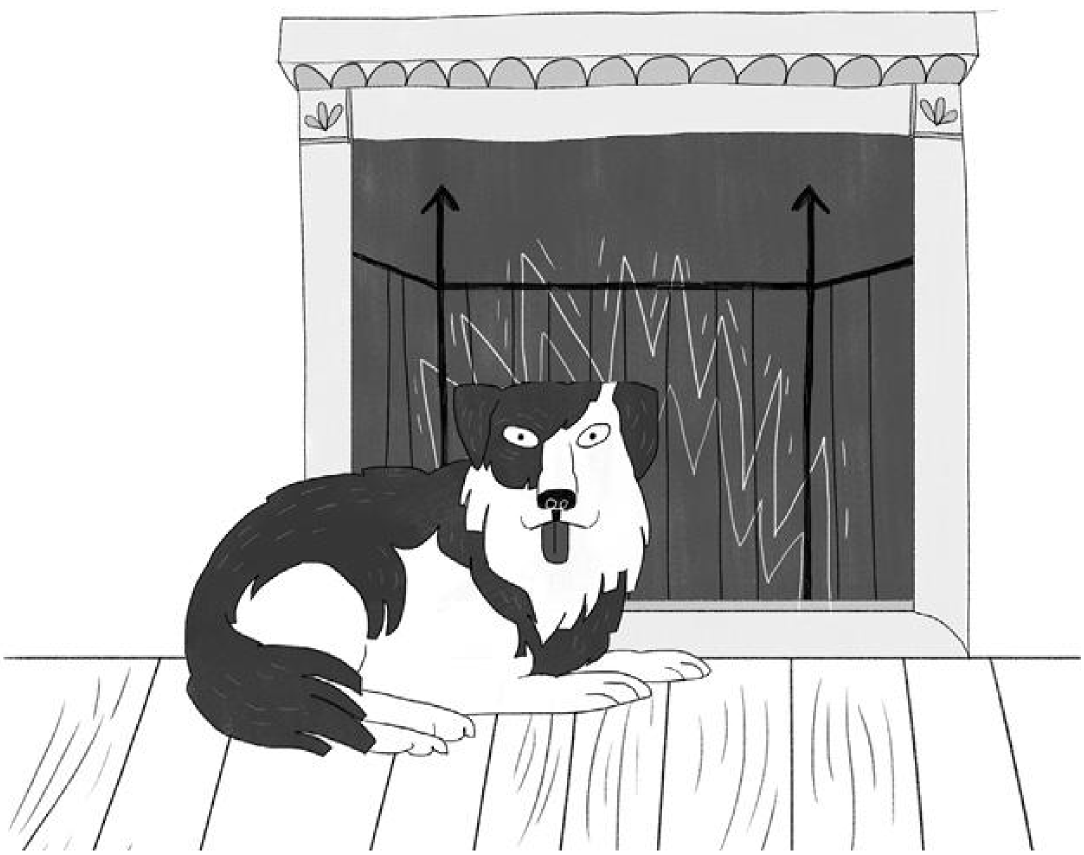
رد قائلًا: «حسنًا، وهل قابلت السيد روتشستر؟».

قلت: «لا يا سيدي».

قال: «من فضلك ساعديني على النهوض».

استند الرجل إلى كتفيَّ ليمتطي حصانه، ثم اندفع بعيدًا والكلب وراءه.

عندما عدت إلى ثورنفيلد هال، واتجهت إلى غرفة جلوس السيدة فيرفاكس، فوجئت برؤية الكلب نفسه يرقد بجوار المدفأة.



قرعت الجرس كي أستدعي ليا.

وسألتها: «كلب مَن هذا؟ وأين السيدة فيرفاكس؟».

ردت قائلة: «هذا بيلوت، كلب السيد روتشستر، والسيدة فيرفاكس معه الآن».

عندئذ أدركت أنني قد التقيت بالفعل صاحب العمل، السيد إدوارد روتشستر، إنه رجل جاد، وغير ودود على الإطلاق، ومع ذلك لم أشعر بالخوف منه.

الفصل السابع

في اليوم التالي، طُلب مني أنا وأديل أن نتناول الشاي مع السيد روتشستر؛ ولأن كاحله قد التوى بسبب سقوطه من فوق الجواد، جلس واضعًا قدمه على كرسي.

بعد تناول الشاي، ذهبت أديل لتلعب، وطلب مني السيد روتشستر أن أجلس بالقرب منه.

سألني: «منذ متى وأنتِ تعملين هنا؟».

- «منذ ثلاثة أشهر يا سيدي».

- «وأين كنت تعملين قبل قدومك إلى هنا؟».



- «قضيت ثماني سنوات بمدرسة لوود».

سألني الكثير من الأسئلة عن نفسي، وطلب مني العزف على البيانو، فنفذت طلبه، ولكن بعد لحظة طلب مني التوقف قائلًا: «آمل أن تكون قدراتك الأخرى أفضل من عزفك».

شعرت بغضب شديد من وقاحته، لكنني منعت نفسي من الرد عليه، ثم وبخني لأنني سمحت لـ أديل بالسهر لوقت متأخر جدًّا، وطلب مني الانصراف. لقد بدا رجلًا صارمًا يفتقر لحس الدعابة، لكنني في أعماق نفسي شعرت بأنه يُظهر خلاف حقيقته.

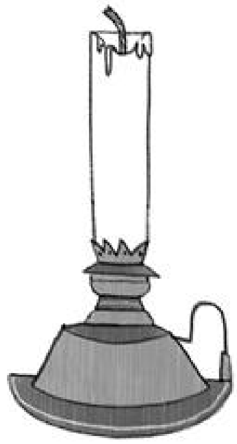
بعد ظهر أحد الأيام قابلني أنا وأديل في الحديقة، وبينما كانت أديل تلعب مع بيلوت، حدثني قليلًا عن والدتها التي كانت تعمل راقصة، وقال إنه أحبها كثيرًا، لكنها أحبت رجلًا آخر. وبينما كان يتحدث عنها، تغيرت نبرة صوته، وصارت أكثر نعومة، ورأيت الحزن على ملامح وجهه.

لاحقًا، توطدت علاقتنا؛ فمرة كنت أقرأ له، وأخرى كنت أكتفي بسماعه وهو يتحدث. لقد استمتعنا بصحبة بعضنا البعض، لكنني ما زلت أرى بوضوح عيوب شخصيته؛ فهو في كثير من الأحيان يكون متقلب المزاج، وأحيانًا يتصف بالقسوة، ولكن، لسبب ما، كان بإمكاني تقبل عيوبه هذه.

كثيرًا ما كنت أسمع ضحكات جريس بول المخيفة قادمة من الغرفة الموجودة بالأعلى، ودائمًا ما كنت تتسبب في شعوري بالخوف الشديد

وفي إحدى الليالي، بعد أن أطفأت شمعتي وكنت على وشك النوم، سمعت صوت ضجيج وشجار خارج باب غرفتي، فاعتقدت أنه ربما كان بيلوت.

بعد ذلك سمعت تلك الضحكة الغريبة مرة
أخرى؛ لقد كانت قريبة



جدًّا، ففكرت هل جريس بول تقف خارج غرفتي؟ نهضت من فراشي كي أكتشف الأمر.

عندما فتحت باب غرفتي، وجدت رائحة دخان، ورأيت سحبًا رمادية تنجرف من تحت باب غرفة السيد روتشستر. هرولت مسرعة نحو الغرفة، فذهلت عندما رأيت سريره ذا الأعمدة الأربعة يشتعل.

صرختُ قائلة: «سيد روتشستر، استيقظ».

أمسكت بإبريق الماء الخاص به، وألقيت الماء فوق النيران، وبعدها قفز بسرعة من فراشه وأطفأ الحريق.



قلت له: «إنها جريس بول يا سيدي، لقد حاولت قتلك».

أمسك بكلتا يديَّ، وقال بهدوء وهو ينظر بعينيَّ: «لقد أنقذتِ حياتي يا جين، كنت أعلم أنك ستقدمين لي معروفًا في يوم من الأيام».



بعد هذه الليلة، كان يدعوني كثيرًا لقضاء الوقت برفقته في المساء؛ حيث كنا نناقش العديد من الموضوعات. وذات مرة مازحني لأنني تحدثت معه بصراحة، خاصة عندما سألني إذا كنت أراه وسيمًا، فأجبته بأنني لا أراه كذلك. اتضح أنه يتمتع بحس دعابة مثلي تمامًا.

بدأت أشعر بأنني أتوق شوقًا لرؤيته، وأدركت حينها أنني وقعت في حبه.

بعد فترة جاءت بلانش إنجرام لزيارته.

الفصل الثامن

كانت الآنسة إنجرام غاية في الجمال: ممشوقة القوام، وذات عينين سوداوين، ونظرة تنم عن الفخر. ترددت شائعات بأنها ستتزوج هي والسيد روتشستر.

في إحدى الأمسيات، أقيمت هناك حفلة بالمنزل، وقد دُعيتُ لها، لكنني بقيت واقفة في ركن بعيد بفستاني الباهت، بينما كانت السيدات تتألقن بالفساتين الحريرية المزينة بالريش مختلف الألوان.



شاهدت الآنسة إنجرام وهي تغازل السيد روتشستر طوال المساء، وبعد ذلك عزَفَت على البيانو بينما كان هو يغني. وفي هذه اللحظة، أدركت أنه عليَّ أن أنسى إعجابي به، فأنا مجرد معلمة، وبالنسبة له من المهم أن يتزوج بفتاة من عائلة مرموقة وثرية.

شعرت وكأن طعنة نافذة وجهت إلى قلبي.

بعدها تركت الحفلة وذهبت لأخلد للنوم.

في اليوم التالي، ذهب السيد روتشستر مع الآنسة إنجرام وعائلتها للإقامة في منزلهم، فحاولت أنا أن أعود للتركيز على مهمة تعليم أديل.

قالت السيدة فيرفاكس: «السيد روتشستر قد يسافر إلى الخارج مرة أخرى، وربما لا نراه ثانية لمدة عام».

شعرت بخيبة أمل ويأس شديد.

لكن السيد روتشستر عاد ومعه العديد من الضيوف، من بينهم الآنسة إنجرام.



كان المنزل وقتها ممتلئًا بالحيوية وأصوات الضحك لا تنقطع فيه.

كنت أحب المشي في البستان في المساء، خاصة مع اقتراب فصل الصيف؛ حيث كان الهواء دافئًا ومليئًا برائحة الزهور.

في أحد الأيام، استدرت عند منعطف الطريق، فوجدت السيد روتشستر متكئًا على شجيرة.

حدثني قائلًا: «تعالي وانظري إلى هذا يا جين، إنها فراشة كبيرة للغاية مثل تلك الموجودة في جزر الهند الغربية».

وقفت بجانبه، وقلت له: «إنه ليحزنني أن أغادر هذا المكان يا سيدي، لقد أحببت كل شيء هنا، وسوف أفتقد أديل و... أفتقدك كثيرًا».

قال: «لماذا ستذهبين؟».

قلت: «لأنك لديك عروس وستتزوج قريبًا... ومن ثم لن تكون بحاجة لي».

رد مبتسمًا: «عروس... أي عروس».



قلت: «الآنسة إنجرام».

رد: «لن أتزوج الآنسة إنجرام».

فتح ذراعيه وقال: «اقتربي مني يا جين، ألا تعلمين أنني أهتم لأمرك؟».

اقتربت منه بكل سرور، فوضعت رأسي على صدره.

رفع إدوارد روتشستر وجهي ونظر إليَّ قائلًا: «هل تقبلين الزواج بي يا حبيبتي؟».

نظرت في عينيه لأرى ما إذا كان يمازحني، لكنه كان يتحدث بصدق.

كاد قلبي ينفجر من شدة السعادة، وقلت له: «نعم سيدي، أوافق على الزواج بك».



قررنا أن يكون حفل الزفاف بعد شهر. أراد إدوارد مني أن أرتدي مجوهرات عائلته لكنني لم أوافق؛ إذ كنت أحب المظهر البسيط غير المتكلف.

لم يكن بحفل عقد القران إلا أنا وهو والسيدة فيرفاكس ورجل الدين الذي سيعقد قراننا، وسرعان ما بدأت مراسم إتمام الزواج.

قال رجل الدين: «إذا كان من بينكم أي شخص يعرف أي سبب يمنع هذين الشخصين من الزواج، فليصرح به الآن».

وفجأة، حدث ضجيج في الجزء الخلفي من دار العبادة، وإذا برجل يدخل مسرعًا ويصيح قائلًا: «لا يمكنهما الزواج، فالسيد روتشستر لديه زوجة بالفعل».

ما إن سمعت ذلك حتى فقدت الوعي، فأمسك بي إدوارد ليمنعني من السقوط على الأرض.

الفصل التاسع

حدثني قائلًا: «يقول إن لديّ زوجة، إذن فلتأتي معي لرؤية زوجتي، فأنا متزوج من سيدة مجنونة».

أمسك بيدي وذهبنا للمنزل، صعدنا للغرفة التي بالعلية؛ حيث تعيش جريس بول. عندما فتحنا الباب، رأيت سيدة أخرى بالغرفة أيضًا، سيدة ذات شعر طويل غير مغسول ترتدي ملابس عادية، عيناها كانت حمراوين من شدة البكاء، لكنها ضحكت الضحكة المخيفة نفسها التي سمعتها كثيرًا. أما جريس بول فكانت تجلس بجوار المدفأة مشغولة في الحياكة.



قال إدوارد: «هذه زوجتي التي أجبرني والداي على الزواج بها عندما كنت أصغر سنًّا، لقد كانت سيدة لطيفة لبعض الوقت، حتى أُصيبت بالجنون، وكما ترين، جريس بول تحاول الاعتناء بها جيدًا، وقررت ألا أرسلها إلى ملجأ تتلقى فيه معاملة سيئة».

في تلك اللحظة، نهضت المرأة المسكينة واندفعت نحو إدوارد.

وكان الرجل الذي اقتحم دار العبادة هو شقيقها، السيد ماسون، وما إن رآها تندفع بهذه الطريقة أمسكها هو ورجل الدين، وفي النهاية تمكنت جريس بول من تقييد يديها معًا.

بدا المشهد مثيرًا للشفقة.

نزلنا إلى الطابق السفلي مرة أخرى، وجلست أنا وإدوارد بمفردنا.

قال: «يجب أن نذهب بعيدًا يا جين، لديَّ منزل آخر يمكننا العيش فيه معًا».

لكنني كنت أعرف مدى العار الذي سيلحق بي إذا ما أخذته من زوجته المريضة، فالناس سوف يتهامسون خلف ظهري، ويتجنبونني في الشارع، ويرفضون التعامل معي في المتاجر، ما يعني أنني سأكون منبوذة، والأهم من ذلك كله أنني لن أكون سعيدة، لأن هذا التصرف عكس مبادئي؛ لذا قررت الالتزام بما أؤمن به، حتى لو كان ذلك يعني فراق إدوارد للأبد.

بالطبع، استدعى الأمر أن أستجمع كل شجاعتي، لكنني نجحت في النهاية، وودعت إدوارد روتشستر، وخرجت من المنزل ليلًا. لقد ترجاني، وجثا على ركبتيه أمامي لأبقى، وبكينا معًا، لكنني كنت على يقين بأن البقاء سيجعلني أندم طيلة حياتي، ومن ثم اتخذت القرار الأصعب بحياتي كلها.

لم أكن أملك حينها سوى ثلاثين شلنًا، فطلبت من سائق العربة أن يأخذني لأبعد مكان يمكنني أن أبلغه بهذه النقود.



بعد عدة ساعات، وصل بي إلى قرية صغيرة، فنزلت هناك. لم يكن معي سوى القليل من الأغراض، وبالطبع لم يتبق لي أية نقود؛ لذا طرقت أبواب القرية لأستجدي الطعام والمأوى، لكن معظمها أُغلق في وجهي.

وأخيرًا وجدني رجل دين ملقاة على عتبة بابه، وكانت ثيابي مبللة، وكدت أتجمد من البرد. باختصار كنت سأموت لو لم يأخذني هو وشقيقتاه ويعتنون بي.



عندما تعافيت، أخبرني رجل الدين أن اسمه جون ريفرز. كان رجلًا طويل القامة، نحيفًا، وسيمًا، ذا عينين شاحبتين، وشعر أشقر. كانت لديه شقيقتان هما ديانا

وماري. أخبرتهما أن اسمي جين إليوت. لم أكن أريد أن أُخبر أحد اسمي الحقيقي تحسبًا لقدوم إدوارد روتشستر للبحث عني.

اندهشوا عندما أخبرتهم أنني درست لمدة ست سنوات، فمظهري أوحى لهم بأنني متسولة.

قالت ديانا: «نحن الاثنان نعمل معلمات أيضًا، لكن والدتنا توفيت مؤخرًا؛ لذا جئنا لنقيم مع جون لحضور الجنازة».

عندما علم جون أنني معلمة، قال إنه يمكنني العمل في المدرسة الجديدة التي سيتم افتتاحها، وبالطبع سررت جدًّا بهذه الفكرة.

وعلى مدار الأسابيع القليلة التالية، أصبحت أنا وشقيقتاه صديقات مقربات، فلقد أحببتهما للغاية، لكنني لم أحب جون، لأن أسلوبه كان جافًّا وغير ودود على الإطلاق، ولم يُظهر مطلقًا أي نوع من مشاعر التعاطف والود.

افتُتحت المدرسة، وأصبحت معلمة لأطفال القرية. في أوقات فراغي كنت أستمتع بالرسم. وفي أحد الأيام، كان رجل الدين جون ينظر إلى صورة رسمتها، وأشار إلى توقيعي.



بعدها حدثني قائلًا: «كنت أشك في الأمر، إليوت ليس اسمك الحقيقي، فلقد سألت عنك، أنت الآنسة جين أير من ثورنفيلد هال. وفي صغرك كنت تعيشين مع زوجة خالك، السيدة ريد».

أومأت برأسي مؤكدة كلامه.

استطرد قائلًا: «نحن أقارب يا جين، لقد توفي عمك، وخالنا، جون أير مؤخرًا في ماديرا وترك لك كل أمواله».

بالطبع دُهشت مما سمعته، وعلمت منه أن عمي بعث لي رسالة على منزل زوجة خالي، لكن لأنني لم أعد أعيش هناك، لم أتلقَّ تلك الرسالة مطلقًا.

أراني جون الرسالة التي بعثها له محامي عمي.

السيد جون ريفرز،

منزل مور،

مارش إند، يوركشاير

سيدي العزيز،

لقد توفي خالك السيد جون أير، بمنزله في ماديرا، وترك كل ثروته ـ التي تقدر بـ *20.000* جنيه إسترليني ـ لابنة أخيه الآنسة جين أير، وأنا أعلم أنك تعرف مكانها.

هكذا أصبحتُ سيدة ثرية جدًّا، لكنني شعرت بأنه ليس من العدل أن أرث الثروة بأكملها وحدي، فنحن جميعًا تربطنا به صلة قرابة من الدرجة نفسها؛ لذا قسمت المال علينا بالتساوي، ومن ثم حصل كل واحد منا، أنا وجون وماري وديانا، على خمسة آلاف جنيه.


Bank of England
1000
BANK of ENGLAND.

الفصل العاشر

على مدار العام التالي، استمتعت بالتدريس في المدرسة، بعدها عرض عليَّ جون الزواج به والذهاب معه للهند؛ حيث سيذهب إلى هناك ليعمل داعية. فالهند مكان رائع، ولطالما حلمت بزيارة الكثير من دول العالم، لكنني كنت أعلم أن جون يريد شخصًا ليساعده في عمله وليس زوجة لتشاركه حياته، فضلًا عن أنني لم أكن أحبه، والهند بعيدة جدًّا عن ثورنفيلد وإدوارد روتشستر، ومن ثم رفضت طلبه.

تساءلت في قرارة نفسي: ترى ماذا حدث مع روتشستر؟ لقد كتبت إلى السيدة فيرفاكس قبل شهر، ولكن لم يصلني منها أي رد.

لم يكن من السهل إقناع جون برفضي له؛ لذا ظل يعرض عليَّ الزواج مرارًا وتكرارًا.

وذات يوم، اقترب مني، ووضع يده على رأسي وقال: «ستصبحين زوجتي في يوم من الأيام».

فكرت وقلت: ربما أخطأت برفضي الزواج منه، فماذا سأفعل بحياتي إذا لم أتزوجه؟ كدت أستسلم وأقبل عرضه، وفجأة سمعت صوتًا يتردد بذهني، بدا حقيقيًّا وواقعيًّا.

كان يقول: «جين، أنا بحاجة لك».

إنه إدوارد روتشستر، فجأة غمرني شعور بأنه يقع في أزمة ويحتاج إليَّ بجانبه.

قلت في نفسي: «أنا آتية».

في اليوم التالي، حزمت أمتعتي، وغادرت. وصلت إلى فندق صغير بالقرب من ثورنفيلد هال.

أغلب الظن أنني قطعت المسافة بين الفندق وثورنفيلد هال ركضًا؛ إذ كنت أتوق شوقًا للوصول إلى هناك ورؤيته، وأخيرًا اقتربت منه…

ما إن رأيته حتى وقفت مصدومة.

لقد أصبح منزل ثورنفيلد هال مجرد حطام؛ حيث نشب حريق كبير في المكان وصارت الأحجار التي بني بها المنزل أشبه بمخالب سوداء ممتدة إلى أعالي السماء.



سقطت على الأرض وبكيت.

عدت إلى الفندق، وهناك علمت أن زوجة السيد روتشستر المجنونة هي التي أشعلت النيران في المنزل، وقد حاول زوجها أن ينقذها من بين ألسنة اللهب لكنها توفيت، وأُصيب هو بحروق بالغة كما فقد يده وبصره.

وعلمت أيضًا أنه الآن يعيش في منزله الآخر، فطلبت من صاحب الفندق أن يأخذني إلى هناك على الفور.

لم يكن فرنديـن مانور منزلًا كبيرًا مثل ثورنفيلد هال، بل مجرد مبنى صغير جدًّا مدفون في أعماق الغابة.

دخلت المنزل، ووجدت إدوارد يجلس على كرسيه بجوار المدفأة، وبيلوت راقد عند قدميه، فنظر الكلب لأعلى وهز ذيله.

التفت روتشستر وقال متوقعًا أنني الخادمة: «هل هذه أنت يا ماري؟».

قلت: «حسنًا، بيلوت يعرف من أكون».

شاهدت التعبير الذي ارتسم على وجهه، مد يده، وأمسك بيدي، وقال بصوت يفيض بمشاعر الحب: «إنها يدها، إنها أصابعها، وصوتها، هل أنا أحلم، أم أن حبيبتي جين قد عادت إليَّ؟».

قلت: «لقد عدت إليك يا إدوارد».



امتلأت عيناي بالدموع، وجلست أمامه وعانقته، هذا الرجل الرائع الذي أحبه بكل ذرة في كياني.

قبَّلت يديه.

قال وهو يربت على شعري: «لقد ناديتك يا جين، وها أنتِ قد أتيتِ».

سألني أين كنت طوال هذا الوقت، فأخبرته بكل ما حدث معي، وكيف أصبحت سيدة ثرية.

قال: «ولكن أيعقل أن تحبيني؟ لقد أصبحت أعمى بيد واحدة، وأنت امرأة مستقلة الآن».

فقلت: «أنا الآن أحبك أكثر من أي وقت مضى».

وبالفعل تزوجنا.

على مدار العام التالي، تحسنت صحة إدوارد، وأصبحت أنا عينه التي يرى بها، كنت أقرأ له، وأرافقه بكل أرجاء المنزل.

وبمرور الوقت، أصبح يرى قليلًا بإحدى عينيه. وقد حملتُ، وعندما وُلد ابننا، امتلأ قلبي بالفرح، واستطاع إدوارد أن يراه.

الغلاف الخلفي



ملت برأســي علــى النافــذة التــي تناثرت عليها قطــرات المطر، ونظرت إلــى المروج رماديــة اللــون القاتمــة بالخــارج. عصفت الرياح بشدة، فارتجفت من البرد.

جين أيــر هي فتــاة بســيطة وفقيــرة؛ كانت تتلقــى دومًــا معاملة قاســية على يد زوجة خالهــا، وأبناء خالهــا كانوا يحتقرونهــا، وعندما ذهبت للمدرســة عانت مرة ثانية القســوة الشــديدة. وفــي أحد الأيام، قررت جيــن أن تعمل معلمة فــي ثورنفيلد هال، وهناك تلتقي الســيد روتشســتر، صاحب المنزل، ذا الملامــح الجادة الصارمة، وتشــعر بالفزع عندما تسمع ضحكة غريبة ومخيفة تأتي من علية المنزل...



لشراء النسخة الإلكترونية

قارئ جرير
JARIR READER

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

Arabic edition published by Jarir Bookstore

يرجى زيارة موقعنا على الإنترنت
www.jarir.com

Adapted by: Stephanie Baudet
Licensor Sweet Cherry Publishing United Kingdom [2022]

ISBN 628-1072-14-449-4
6 281072 144494
282208986